

وكننا نسكن سوياً في رواق دارفور بالأزهر الشريف في القاهرة في أواسط السبعينيات من القرن الماضي، وكنت طالبا بكلية اللغات والترجمة في جامعة الأزهر، فكنا نجلس إليه وزملائي، وكنا نتمنى لو نستطيع تدوين كل كلمة ينطقها، أهمية التزام الأديب بنظرية فلسفية توجه منهجه في الإبداع، بعضاً من المعارك الأدبية لجماعة الديوان (عباس محمود العقاد، التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين من جهة، وجماعة مدرسة أبولو، بزعامة (احمد زكي أبي شادي واحمد شوقي و خليل مطران ومصطفى صادق الرافعي، حيث دارت سجالات المجموعتين في النقد الأدبي، وفي الشعر على وجه الخصوص. فقد كان ديواننا بمعنى الكلمة، ويقول أن منطق النظرية الفلسفية التي يلتزم بها الديوانيون، هو أن (كل حر جميل وكل جميل حر)، وكان يرى أنه لا بد أن يكون هذا المفهوم في ذهنية المبدع، وواعياً مجال ومسرح تجواله الفكري وإطلاقه الذهني، ويقول أن الديوان بهذه النظرة الباردة، لأن فلاسفة الغرب في أفضل حالاتهم، وترى جماعة الديوان، هو الأفضل من بين فلاسفة الغرب في هذا الجانب، حيث أنه كاد أن يصل الى النظرية الصائبة في مسألة الجمال، ترى جماعة الديوان بأن القضية أكبر من ما توصل إليه شوبنهاور بكثير، حيث أن فكرة الجماد جميلة، لكن فكرة النبات أجمل من فكرة الجماد، وفكرة الحيوان أكثر جمالا من الفكرتين السابقتين، ثم تأتي فكرة الإنسان كذروة جمالية في كل تلك الأفكار. فما هي الميزة التي تفاضل جمال الأفكار السابقة بعضها من بعض؟ لأن الحقيقة أن فكرة الجماد جميلة، وفكرة النبات أجمل من فكرة الجماد لأن النبات تحرر من قيد الجاذبية وإرتفع إلى الأعلى، وفكرة الحيوان أجمل من فكرة النبات، لأنها تحررت من قانون الجاذبية وإرتفعت إلى الأعلى ثم تحركت بحرية في كل اتجاه، ثم تأتي فكرة الإنسان التي بعد التحرر من قيود الجاذبية وإنعدام الحركة والقدرة، على التجول كذلك تحررت من قيود إنعدام الوعي وإرتفعت بقدرة العقل فوق الكثير من القيود، وهكذا كلما تحررت الفكرة من قيد ما، صارت أجمل من الفكرة المكبلة بقيد ما. والراقصة إذا تحررت من قيود الترهل وإلتزمت الإيقاع الموسيقي جاءت الرقصة حرة من تلك القيود فلا شك أنها أجمل من رقصة راقصة لا تجيد التوافق الإيقاعي بالخفة المطلوبة، وكذلك الكلام كلما تحرر من قيود التأناة، وخرج متنسقا مع قواعد اللغة، زاد الجمال فيها وهكذا فالجمال والحرية، كلما زاد الجمال زادت الحرية، فلا شك أن الجمال أيضا مطلق، حيث لا قيد بل حرية على الإطلاق، وهو الجمال على إطلاقه. بينما الإيمان بالله والإنقياد له وعبادته تكون أولى خطوات السير في طريق الحرية وبداية تشكل معالم الجمال الإنساني. يرمي القيود المكبلة لإنتلاقته، في (الحضرة) ليجد ذاته متحررا من كل قيود المادة والقصور الفكري، متلشيا في الجمال اللانهائي في الذات العلية وقد تحققت له كل مبررات الوجود، وغايات الحياة (يا أيها الإنسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) لا بقطع المسافات، ولكن بإتباع المنهج الرباني (الكتاب والسنة) في معالجة قيود الحياة التي تكبل حرية السير نحو الحضرة، فهنا المبدع الفنان الملتزم، ينتقي من موضوعات ومواد عالمه، يعالج بها لوحاته الفنية، الحرية والجمال وجهان لعملة واحدة، لوحة مبدع ملتزم بحرية الجمال، صيغت مكوناته لترشد التائهين إلى هناك حيث لاهناك هناك. وهكذا يكون المنهج الإبداعي أيا كان؛ الترتيب للقيم الجمالية في قائمة تلتزم وضع كل شيء في موضعه الصحيح، تتحرى إستجلاء الجمال اللانهائي بإضفاء القيم، وإعطاء المعاني مواقعها الصحيحة.